

أثر الدلالة المعجمية في توجيه المعنى في مقاييس اللغة لابن فارس (395هـ)

The effect of lexical significance in directing meaning In Language Measures by Ibn Faris (395 A.H.)

كـ ديدوح فرح²

كـ نقاز هجيرة¹

farachadh@yahoo.fr

hadjirares@gmail.com

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان / الجزائر

تاريخ النشر: 2022/01/23

تاريخ القبول: 2021/11/19

تاريخ الاستلام: 2021/10/31

ABSTRACT:

ملخص البحث

The utterance and the meaning are two sides of the same coin. The meaning is the manifestation of the semantic component, and it is the manifestation of the semantic characteristic without which the lexical unit cannot be a complex abstract entity. I have made semantics usually defined as the study of meaning Ibn Faris is considered one of the meaning and proved it in all its semantic aspects. He was able to classify the lexical semantics of the entries he adopted in his dictionary of language standards, as he tried to achieve the original meaning of each root and elicit the sub-semantics that branch out from it

.Keywords: lexical significance, meaning, Arabic language, language standards, lexico

يعد اللفظ والمعنى وجهين لعملة واحدة. فالمعنى هو المظهر للمكوّن الدلالي، وهو المظهر للخصيصة الدلالية التي لا يمكن للوحدة المعجمية بدونها أن تكون كياناً مجزئاً معقداً، وهذه الصلة الوثيقة بين المعنى والمكوّن الدلالي، وبين المعنى والخصيصة الدلالية هي التي جعلت علم الدلالة يُعرّف عادة بأنه دراسة المعنى.

ويُعدّ ابن فارس من رواد المعجميّة الذين قاموا بحصر المعنى وإثباته من جميع جوانبه الدلالية. فقد استطاع تصنيف الدلالات المعجميّة للمداخل التي اعتمدها في معجمه مقاييس اللغة، حيث حاول تحقيق المعنى الأصلي لكل جذر واستنباط الدلالات الفرعية التي تنفرع عنه.

الكلمات المفتاحية: الدلالة المعجمية، المعنى، اللغة العربية، مقاييس اللغة، المعجم.

مجلة لغة - كلام / مخبر اللغة والتواصل / جامعة غليزان (الجزائر)

¹ المؤلف المرسل : نقاز هجيرة.

1. مقدمة:

تُعَدُّ الكلمة المادة الأساسية في المعجم اللغوي، ومن هنا عُرِفَ المعجم اللغوي بأنَّه "كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع، و المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها"¹ لذا كان تدوين المعجم ضرورة لغوية لكل مجتمع متقدم، ليتمكن أفرادُه من معرفة الكثير من المعلومات التي توضح ما يحيط بالمادة الأساسية فيه ألا وهي الكلمة. لقد كان دأب المعجميين القدماء في جمع المادة اللغوية وتصنيفها استجابة إلى ما توجبه المحافظة على القرآن الكريم وفهم معانيه وحفظ مادته اللغوية وما ترمي إليه من دقيق الدلالة والمغزى وصحيح المبني والمعنى؛ وعلى ضوء ذلك أخذ الأوائل من أئمة اللغة يجمعون اللغة، فكتب لهذه الجهود أن ترى النور وترسم بخط حافظها على معجماتهم وسيرهم وطبقاتهم، ويُعَدُّ القرن الرابع الهجري من أكثر القرون ازدهاراً وجمعاً للمادة اللغوية، فمن رواده صاحب مقاييس اللغة ومجملها: ابن فارس اللغوي؛ الذي نحن بصدد كشف بعض الحُجُب عن ستار معجمه مقاييس اللغة.

و بناءً على ما سبق، فإنَّه عند ذكرنا لمواد المعجم فإننا نقصد منه مادة الشيء، أصوله و عناصره التي منها يتكوّن حسيّة كانت أو معنوية، و مواد اللغة ألفاظها. ولهذه الألفاظ جوانب متعدّدة يمكن النظر إليها، نحو الجوانب الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية، فالمفردات في المعجم تتعالق تعالقاً مختلفاً تكون الدلالة أحد مظاهره المحقّقة للمفردة. وأهميته الدلالية في اكتساب المفردة لخصيصة التفرد؛ لأنّ الدلالة تختصّ وحدها بوجه من الوجهين المكوّنين للدليل اللغوي، وهو وجه المعنى ووجه الصيغة – وهو شكلي خالص- يكوّنه الكيان المجرد للتأليف الصوتي والبنية الصرفية.

2. الدلالة المعجمية:

يصطلح علم المعاجم في كل لغة بالكشف عن الدلالة المعجمية للكلمة، فدراسة المعنى المعجمي تشكّل قطاعاً عريضاً وأساسياً في علم المعاجم؛ لذلك يرى علماء المعاجم أنّ دراسة المعنى المعجمي هو الهدف الأوّل لهذا العلم، و دراسة المعنى المعجمي تعتبر أوّل خطوة للحديث عن الكلمة ودلالاتها ذلك أنّ الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية تعتبر دلالات وظيفيّة.

تكوّن الدلالة المعجمية معاني الوحدات المعجمية، وهي وحدات ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموجودات المعيّنة أو المجردة المتصورة، فهي معبرة إذاً عن تجربة مستعمل اللغة الواقعي في الكون¹. وكل لفظ يقابله معنى مركزي أو مسيئ ثابت في المحيط الخارجي، ولكل كلمة مدلول موجود في حياتنا تشير إليه هذه الكلمة وثبته، وبها تتم عملية التواصل اللغوي بين الناس في حدودها أو

إمكاناتها، وأغراضها. وقد قال بهذه الدلالة علماؤنا القدامى منذ بداية البحث اللغوي عندهم، وبنوا أغلب معاجمهم في ضوءها². والجوانب التي تناولها هؤلاء العلماء تُعدّ مبادئ و أساسيات لدى الباحثين الجدد، ويمكن أن نذكر منها ما جاء على لسان الأستاذ هادي نهر³:

(1) التفت علماؤنا القدماء إلى أنّ الدلالة المعجمية أو المركزية أكثر ما تكون في أسماء الألقاب المحضة والمصطلحات وغير ذلك من الألفاظ التي لا تحمل إلا دلالة تعريف محض واحد.

(2) إنّ الدلالة المعجمية، وإنّ مثلت (الناحية الجامدة السكونية من اللغة)، إلا أنّ كثيراً من الألفاظ ما يكون عاماً، متعدّد الدلالة، بمعنى أنّه على الرغم من كونه كان معنىً مطلقاً عائماً لا تتحدّد دلالته أحياناً إلا من خلال الكلام الذي يرد فيه، فقد اختلف علماؤنا في بيان دلالة كثير من هذه الألفاظ على آراء شتى، ولهذا وجدنا بين أيدينا عشرات الكتب بل مئات فيما يعرف بـ (كتب غريب القرآن) أو (اللغات في القرآن) و (غريب الحديث) تناولت بالتفسير والتأويل شرح معاني بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف ممّا يظنّ أنّه بعيد الدلالة لم يُؤلف عندهم إستعماء في الدلالة التي استعمل فيها في القرآن الكريم.

(3) أدرك علماؤنا الأوائل أثر المعنى المعجمي في توجيه المعنى النحوي، ومن ثمّ المعنى الدلالي للتركيب. وهذا من وسائل التخصيص في الجملة العربية ممّا أطلقوا عليه متّيمات الإسناد أو قيود الإسناد، وقد حدّدوا كل هذه القيود بضوابط ومواقع معيّنة حتى تؤدّي دورها في بيان المعنى المراد على الوجه الدلالي الأكمل الذي لا يعثره غموض أو لبس، وكانت الحركات الإعرابية قرائن دلالية حاسمة في بيان المعاني المختلفة التي تتوارد على الألفاظ على وفق ما تأتي فيه من التركيب المعين.

3. شرح المعنى المعجمي:

يعد اللفظ أو الكلمة على العموم المادة الأساسية التي تُبنى عليها المعاجم اللغوية وعليه فهي تكتسي أهمية بالغة في التعريف بمدخل المعجم يقول الأشموني: "الكلمة هي اللفظ المفرد"⁴، ويقول صاحب الشذور: "الكلمة قول مفيد مقصود"⁵. في حين يشير ابن عقيل وغيره من المتقدمين بأن يبني التعريف على العلاقة بين الكلمة ومعناها؛ أي الفكرة التي تعبّر عنها، كقول ابن عقيل: "الكلمة لفظ وُضع لمعنى مفرد"⁶. وإما أن تدخل في تعريف الكلمة أفكار منقوضة، كفكرة التقدير، كقول صاحب الهمع: "وقد اختلفت اعتباراتهم في حدّ الكلمة اصطلاحاً، وأحسن حدودها قول مفرد مستقلّ أو منتوي معه"⁷. وقد اقترح تمام حسان تعريفاً فاصلاً نبتينّه من قوله: "الكلمة صيغة ذات وظيفة لغوية معيّنة من تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغيّر موضعها ويستبدل بها غيرها وفي السياق، وترجع في مادتها غالباً إلى أصول ثلاثة، قد تلحق بها زوائد"⁸.

انطلق علماء المعاجم من وجهة نظر تخالف غيرهم من العلماء؛ لذلك لم يحاولوا البحث عن تعريف نظري للكلمة، وإنما انصرفوا إلى تحديد ماهيتها من الناحية العملية؛ لأنَّ مهمّة المعجم اللغوي هي بيان وشرح معاني الكلمات سواء من ناحية المبنى أو المعنى.⁹ ولما كان المقصود بالمعنى المعجمي بيان المعاني المفردة للكلمات، فإنّه "من الممكن أن يوجد المعنى المعجمي دون المعنى النحوي (كما في الكلمات المفردة)، وكذلك أن يوجد المعنى النحوي دون المعنى المعجمي كما في الجُمْل التي تركّب من كلمات عديمة المعنى، مثل (القرع شرب النبع). بل من الممكن ألا يوجد للجملة معنى مع كون مفرداتها ذوات معان، وذلك إذا كانت معاني الكلمات في الجملة غير مترابطة مثل: (الأفكار عديمة اللون تنام غاضبة)¹⁰.

في حين نجد على جانب آخر من الدراسات والأبحاث التي اهتمت باللفظ ومعناه علم الدلالة حيث يُعدّ شرح المعنى من موضوعات علم الدلالة الذي يدرس المعنى، سواء على مستوى الكلمة المفردة أو التركيب، وتنتهي هذه الدراسة غالباً بوضع نظريات علميّة في دراسة المعنى، تختلف من مدرسة لغوية إلى أخرى¹¹. مع أنّ بعض علماء اللغة المعاصرين يرون أنّه فرع من علم اللغة يختصّ بدراسة المفردات ودلالاتها دون النظريات المختلفة التي قد يتطرق إليها علماء اللغة عند دراستهم للدلالة. ويقع المعنى المعجمي في بؤرة اهتمام المعجميّ؛ لأنّه يُعدّ أهمّ مطلب لمستعمل المعجم¹².

إنّ المعنى المعجمي هو الدلالة التي يقدّمها المعجم للألفاظ التي يتناولها، وهذا المعنى يُشار إليه بأنّه "قاصر في حقيقته عن المعنى الاجتماعي أو الدلالي الذي يُعنى بتتبّع الجملة الحدث الكلامي وما يحيط به من مجريات"¹³. أو هو المعنى أو الدلالة التي يقدّمها المعجم أو القاموس لمفردات اللغة¹⁴. و يرى الأستاذ عبد الله بن سعد الحقباني في تعريفه للمعنى المعجمي أنّ المعجم يبقى قاصراً عن الإلمام بالمعنى التام للألفاظ، يقول: "ولقد رمى العلماء والباحثون المعاصرون المعاجم بأنّها قاصرة وغير قادرة على تحديد معاني الألفاظ، وهي ليست كل شيء في التوصل للدلالة"¹⁵. ومما يُثبت موقفه هذا وإن لم نكن بصدد إثبات المواقف أو نفياً ما جاء على لسان ابن فارس في توضيح تعدّد المعنى واشتراك الألفاظ في الصيغة ومغايرتها في الدلالة، حيث يقول¹⁶:

يَا دَارَ سَعْدَىٰ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْ إِضْمٍ سَقَاكَ صَوْبُ حَيَا مِنْ وَاكِفِ الْعَيْنِ

العين ههنا: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

إِنِّي لَأَذْكُرُ أَيَّاماً بِهَا، وَلَنَا فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ يَوْمٍ قُرَّةُ الْعَيْنِ

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تُدْنِي مُعَشَّقَةً مِنَّا مُعْتَقَةً تَشْجُهَا عَذْبَةٌ مِنْ نَابِعِ الْعَيْنِ

العين ههنا: ما ينبع منه الماء.

إذاً تمرزها شَيْخٌ به طَرَقٌ سرت بقوَّتِها في الساق والعين

العين ههنا: عين الركبة، و الطرق ضُعف الركبتين

و الرِّق مَلَأَن مِنْ ماء السُّرور فلا نخشى تولُّه ما فيه من العين

العين ههنا: ثقب يكون في المزايدة، و تولُّه الماء أن يتسرب.

و غاب عُدَّالنا عَنَّا فلا كدَّرُ في عيشنا من رقيبٍ السوء والعين

العين ههنا: الرقيب.

يُقَسَّم الودَّ فيما بَيْننا قِسْماً ميزان صدقٍ بلا بخس ولا عينٍ

العين ههنا: العين من الميزان.

و المعجم لا يأتي بكلّ تفصيلات الكلمة على هذا النحو، بل يأخذ منها القاسم المشترك، فيجعله معنى معجمياً للكلمة، كما يشغل نفسه أحياناً ببعض مشتقات المادة، و من هنا ظهر قصور فإنّ المعنى المعجمي من حيث عدم استقصاء المعاني والاكتفاء بمعنى واحد أو أكثر قليلاً¹⁷.

4. توجيه المعنى في معجم مقاييس اللغة:

المعنى هو المُظهر للمكوّن الدلالي الذي لا يكون الدليل اللغوي بدونه دليلاً، و هو المُظهر للخصيصة الدلالية التي لا يمكن للوحدة المعجمية بدونها أن تكون كياناً مجرداً معقّداً، مستكملاً للخصائص الذاتية الواجبة الوجود؛ التي تُكسب الوحدة خصيصة التفرد. وهذه الصلة الوثيقة بين المعنى و المكوّن الدلالي، و بين المعنى و الخصيصة الدلالية هي التي جعلت علم الدلالة يُعرّف عادة بأنّه (دراسة المعنى). لكن المفهوم المرتبط بمصطلح (المعنى) ليس دقيقاً أو موحّداً، بل إن الغالب عليه الغموض وعدم الاستقرار مع التهميش أيضاً¹⁸، على أنّ الدلالة المعجمية للألفاظ و إن كانت تعكس المعاني التي كانت عليها في أصل الوضع، فإنّ الدلالة الاجتماعية تظل تحتلّ بؤرة الشعور؛ لأنّها الهدف الأساس في كلّ كلام¹⁹.

و بناء عليه، فإنّ ابن فارس و هو أحد روّاد المعجميّة العربية استطاع بمقدرته المعرفيّة وبعبقريّته اللغوية أن يحصر معاني كلّ كلمة في أصل أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، على أنّه حكم عل بعض الأصول الأخرى أو الجذور -كما يستحبّ في أوساط المعجميين الجدد- بالتباين أو التباعد أو بالانفراد أو بعدم الانقياس، ويصرّح بأنّ الأصول قد تتشعب إلى فروع تقاربها في المعنى الأصلي الأوّل.

كما يُعرّف ابن فارس العامّ والخاصّ في (باب العموم والخصوص) من كتابه الصاحبي بقوله: "العامّ الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً، وذلك كقوله جلّ ثناؤه: (خلق كل دابة من ماء) و قال

(خالق كل شيء)²⁰ والخاص الذي يتحلل فيقع على كل شيء دون أشياء. وذلك قوله (و اتقون يا أولي الألباب)²¹ فخطب أهل العقل²². وفي سياق الحديث عن تعميم الدلالة وتخصيصها وما استشهد به ابن فارس على هذه الظاهرة اللغوية في معجمه المقاييس الذي نحن بصدده يتعين علينا التمثيل للوصف: حيث ذكر ابن فارس ما لا يخفى على العين من الأمثلة التي مثلت تعميم الدلالة وتخصيصها نحو قوله: "ورد: الواو والراء والذال أصلان أحدهما الموافاة إلى الشيء، والثاني لون من الألوان. والورد الأول خلاف الصّدر، ويقال وردت الإبل الماء ترده ورداً"²³. وجاء في الصاحبي على لسان ابن فارس نفسه: "كان الأصمعي يقول: أصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء ورداً. والقرب طلب الماء. ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال: هو يقرب كذا؛ أي يطلبه ولا تقرب كذا"²⁴ فمن خلال هذا المثال يتبين لنا كيف تغيرت دلالة اللفظ (ورد) من صيغته الأولى وهي إتيان الماء إلى عموم المعنى: حيث أصبح كل إتيان وردا .

و أما تخصيص الدلالة فهو نحو قوله في مادة (صلي): "الصاد واللام والحرف المعتل أصلان: أحدهما النار وما أشبهها من الحتى، والآخر جنس من العبادة. و أما الثاني: فالصلاة وهي الدعاء. وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليصل»، أي: فليدعوا لهم بالخير والبركة" رواه مسلم²⁵

و يبدو لنا من خلال المقاييس أنّ فكرة الأصل والفرع قد أخذت قسماً وافراً من حظ ابن فارس وهو يُشكّل لنا المعنى في مواضع غير المقاييس، منها قوله في الصاحبي: "إنّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا (رجل) و (فرس) و (طويل) و (قصير)، وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلّم. و أما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليئها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخاطبتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً"²⁶. ولا يكاد هذا التعريف الذي ذكره في الصاحبي يزغ عن معناه في المقاييس، "ففي كتاب الصاحبي يُعمّم ابن فارس مفهوم الأصل والفرع بالنظر إلى اللغة بشكل عامّ من حيث هي مفردات وتراكيب ومعنى. وهو هنا يجعل المفردات أقلّ أهمية من التراكيب، ولذلك يعدّها من الفرع: ربّما لأنّها لم تدخل بعد في علاقات تركيبية وأسلوبية يُعلم بها خطاب القرآن والسنة كما قال"²⁷.

أما في المقاييس فالمفردات دون التراكيب هي التي لها أهمية خاصّة؛ لذلك يخص مفهوم الأصل والفرع بالمعنى وحده، فهناك المعنى الأصلي أو المعنى العام الذي يربط سلسلة المشتقات ذات الجذر الواحد، ثمّ هناك المعنى الفرعي الذي تختصّ به كلّ كلمة بالإضافة إلى هذا المعنى العام، وبهذا الصدد يقول: "إنّ لغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرّع منها فروع، وقد ألّف الناس في جوامع اللغة ما ألّفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا أصل من الأصول. والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم. وقد صدرنا كل فصل بأصله الذي

تتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يُسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظٍ وأقربه"²⁸. وهو بذلك يحاول رصد وتقنين التطور الدلالي على مستوى المعجم، كما حاول من قبل رصد وتقنين أصل اللغة ورسوم العرب في مخاطباتها وما لها من الافتنان في ذلك تحقيقاً ومجازاً حيث تظهر أهمية التراكيب دون المفردات"²⁹.

لقد استطاع ابن فارس تصنيف الدلالات المعجمية للمداخل التي اعتمدها في معجمه مقاييس اللغة؛ حيث حاول تحقيق المعنى الأصلي لكل جذر واستنباط الدلالات الفرعية التي تتفرع عنه، ويؤكد ذلك ويدعمه قوله في كتاب الصحاحي: "أجمع أهل اللغة، إلا من شذ عنهم أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلانّ أبداً على الستر. تقول العرب للدّرع جنة وأجنّه الليل. وهذا جنين أي هو في بطن أمه أو مقبور"³⁰. وأمّا في المقاييس فجاء اثباته للأصل بقوله: "الجيم والنون أصل واحد، وهو [الستر] التستر: فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم. والجنة البستان. والجنين: الولد في بطن أمه والجنين المقبور والجنان القلب.. والجنة: الجنون، وذلك أنه يغطي العقل. والجنّ سمّوا بذلك لأنهم مستورون عن أعين الخلق"³¹. وعليه فإنّ الجذر (ج ن ن) يدلّ على معنى الستر والخفاء؛ وقد تردّد مصطلح الأصل كثيراً في عمل ابن فارس بمعنى (الدلالة المحورية)، وقد استعمل بعض قدامى اللغويين هذا المصطلح للغرض التعبيري نفسه"³². ومن ذلك قول ابن فارس: "الباء والدال في المضاعف أصل واحد وهو التفرّق والتباعد بين الشيئين"³³. ومن ذلك أيضاً قوله: "اعلم أنّ للهمزة والباء في المضاعف أصليين: أحدهما المرعى والآخر القصد والتهيو"³⁴. وقد استعمل ابن فارس مصطلح (الأصل) بدلالة أخرى وهو (الجذر)، ويفشو هذا الاستعمال في المقاييس فشواً غامراً"³⁵.

لا نستطيع أن نتجاهل المحاولة الجادة لآبن فارس في بناء معجم مقاييس اللغة على ما يطلق عليه علماء اللغة الآن الأصل الحسي لكل جذر من جذور اللغة؛ إذ من المعروف -على الأقل من الناحية النظرية- أنّ الكلمات في أيّ لغة من اللغات بدأت بالدلالات الحسية المادية ثمّ تطوّرت من هذا الأصل الحسي إلى دلالة معنوية غير مادية، ولعل هذا ما كان يقصده ابن فارس بالأصول والفروع؛ حيث كان يدير أيّ مادّة أو جذر على أصل واحد غالباً، وإن كان أحياناً يشير إلى أصليين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة"³⁶.

في منحنى التحليل الدلالي لآبد من مراعاة الترتيب التاريخي للمعاني؛ الذي يخضع لمنطق البدايات والضرورة، فوجود معنيين لمفردة واحدة يحتم أنّ أحد المعنيين سابق، ثمّ يحتم أنّ المعاني المادية المحسوسة أسبق من معاني الذهن. فمفردة (شكر) معناها: مقابلة النعمة بالقول، وهو معنى رفيع في أخلاقيّاته لا يناسب منطق الغلب الأوّل"³⁷، جاء في المقاييس: "الشين والكاف والراء أصول

أربعة متباينة بعيدة القياس. فالأول: الشكر: الثناء على الإنسان بمعروف يُوليكه. ويقال: إنَّ حقيقة الشكر الرضا باليسير. يقولون: فرسٌ شكور، إذا كفاه لِسمنه العلف القليل. والأصل الثاني الامتلاء والغزر في الشيء. يقال حلوبة شكره إذا أصابت حظاً من مرعى فغزرت. والأصل الثالث: الشكير من النبات، وهو الذي ينبت من ساق الشجرة، وهي قضبان غضة. والأصل الرابع: الشكر وهو النكاح. و يقال بل شكر المرأة: فرجها"³⁸، حيث انتقل ابن فارس من إيراد المعنى الحسي المادي للأصل إلى المعنوي فانتقلت الدلالة من الحسية المادية إلى المعنوية مما يعرف اليوم من دلالات لكلمة الشكر.

وفي حالات أخرى نجده يُغلب معنى محسوس على محسوس آخر في مثل قوله: "الجيم والهاء و الدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه. يقال: جهدت نفسي وأجهدت، والجهد: الطاقة، قال الله تعالى: (والذين لا يجدون إلاَّ جهدهم)"³⁹. ويقال: إنَّ المجهود اللبن الذي أخرج زبده، ولا يكاد ذلك [يكون] إلاَّ بمشقة ونصب. ومما يقارب الباب الجهاد، وهي الأرض الصلبة. وفلان يجهد الطعام: إذا حَمَلَ عليه بالأكل الكثير الشديد"⁴⁰.

إنَّ توزيع المسميات إلى مجالات دلالية قد يساعدنا على حصر هذه المجالات، كما يساهم في تحديد نوعية العلاقات الدلالية الرابطة بين معاني كل لفظ من حيث هي علاقة تنافر أو تقارب أو تناسق أو تشابه، كما يساهم البحث في مستوى الحركات على إبراز علاقات قد تكون من نوع مغاير كالانتقال من الماديات إلى المعنويات والمجردات"⁴¹. وفي حال الانتقال من مجال إلى مجال نحو قوله: "سلم: السين و اللام و الميم معظم بابه من الصحة و العافية، و يكون فيه ما يشدّ و الشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى"⁴². فإنَّ انتقال الدلالة كما يتم من محسوس إلى معنوي أو العكس: يتم بين المحسوسات بعضها مع بعض لصلة الدلالتين في المكانية أو الزمانية أو اشتراك في جزء من الدلالة"⁴³. ويؤكد هذا قوله: "و من الباب أيضاً الإسلام وهو الإنقياد، لأنّه يسلم من الإباء والامتناع. و من باب الإصحاب والإنقياد: السّلم الذي يسعى السّلف. كأنّه مالٌ أسلم ولم يمتنع من إعطائه. و ممكن أن تكون الحجارة سُميت سِلاماً: لأنّها أبعد شيء في الأرض من الفناء والذهاب لشدّتها وصلابتها"⁴⁴.

تنتقل الدلالات إلى دلالات أخرى تشترك معها في المكان و الزمان، وفي اللغة ما يدلّ على اشتراك الدلالتين في بعض المعنى. وألفاظ هذا الضرب تُشَبَّه عادة بالدوائر المتقاطعة التي تشترك في أجزاء متفاوتة من سطوحها، والتي يجعلها الاستعمال في دورانٍ مستمرّ على الألسنة"⁴⁵. والمعنى يذهب في توسّعه الصوتي نحو حصر الدلالة أو اختصاصها، وإننا باعتماد الأصل ومراجعة المعاني المتولّدة بالزيادات فيه نصل لدائرة المعنى الواسعة، وبمراجعة هذه الدوائر المتولّدة بالزيادات نصل للمعنى الدقيق المتفرّع تخصيصاً في الأصل، فكثرة الفروع في الشجرة تقودنا في نهايتها للجذع، وكثرتها في

الكلمة تقودنا للجذر، وإنَّ الاعتقاد بثبات معنى محدّد ودقيق في الكلمات كقيمة الأعداد، يبدو مجانباً للصواب⁴⁶.

5. خاتمة:

- أن الحديث عن دلالات الألفاظ ومعانيها في معجم قديم كمعجم المقاييس يتأتّى لنا فهم بعض مدلولاتها بعيداً عن طريقة نطق محتواها، وكيف يصعب علينا فهم الظروف والملابسة للحدث اللغوي، وقد نوقّق إلى درجة محدودة من فهم النص، فالنطق قد يحدّد أنّ الكلام تعجّب مثلاً أو استرسال أو خبر، وهذا أدعى في الوقت نفسه إلى أن يتّخذ علم الدلالة منهجاً تاريخياً خاصاً لدراسة النصوص القديمة، ولتعقّب تطوّر معاني الكلام، بالإضافة إلى دراسة المعنى من الناحية الوصفية.
- إنّ تحديد المعنى يعدّ إشكالاً متداولاً في حياتنا اليومية، وهو على جانب كبير من اليسر، ولعلّ أكثر الخلافات والتناقضات والأفكار التي نتداولها على قسط كبير من الاختلاف، وهذه الصعوبة في فهم المعنى وتعدّده ليست مقصورة على محادثاتنا المتكرّرة، بل تتعدّها إلى اللغة الأدبية والنصوص القديمة في لغتنا أو في لغة أجنبية أخذنا منها بنصيب، وغيرها من الميزات والتركيب اللغوية.
- إنّ القول بتجميد الألفاظ لا تقع مسؤوليته على المعجم، بل هو راجع إلى استخدام الألفاظ، وهو ما سلّمنا إلى القول بأنّ هناك عناصر أخرى تسهم في تحديد وتفسير المعنى الدلالي يتبين لنا ممّا سبق أنّ المعجميين القدماء أدركوا أهمية اللفظ في تفسير المعنى وتوضيحه، وهذا ما دفعهم إلى الاهتمام بالمادة المعجمية من الناحية الصوتية والصرفية أو النحوية أو اللغوية.
- يكون المعنى المعجمي مفرداً؛ إذا دلّت عليه المفردة وهي بمعزل عن التركيب اللغوية، وإذا أردنا حصر المعنى المعجمي للفظ في أي معجم لغوي قديم فإنه لا بد من مراعات الملابسات وكلّ الحالات التي تربطه بتجربة الجماعة اللغوية في الكون وتصله بالموجودات خارج اللغة، أي ليس له من علاقة إلّا بالمرجع الذي يرتبط به. وهذا المعنى يكون إمّا خاصاً إذا حصل في تعبير اصطلاحى أو تعبير تحليلي، ويكون عاماً إذا حصل من التجميعات التركيبية العادية، الخيرية أو الإنشائية.
- تنقسم الوحدات المعجمية بحسب مستويي التعميم والتخصيص إلى وحدات معجمية عامة ووحدات معجمية مخصّصة، لكن التخصيص ليس خاصية مشتركة في الوحدات المعجمية كلّها، بل هو خاصية في الأسماء وما صلح من الصفات.
- استطاع ابن فارس أن يرسّي قاعدة معجمية أساسية مهّدت لنظريّات دلالية مستحدثة تُعدّ من الأهمية بمكان في شتى العلوم اللغوية.
- قسّم ابن فارس المادّة المعجمية إلى أصول تتفرّع منها فروع؛ حيث فرّق بين المعنى الأساسي الذي ينطوي عليه الجذر اللغوي وحدّد المعاني الهامشية والمفهومية، إذ أنّ هذه المعاني الجزئية يمكن وصفها بأنّها دلالات وصفية تتحدد من خلال المعنى الأصلي الأوّل للكلمة..

• اقتصر ابن فارس في معجمه المقاييس على الصحيح من ألفاظ اللغة العربية، معتمدا جهدا فكريا و سخاء علميا جعله يترفع عن التصحيف مشددا على استنباط الأصول اللغوية من الاستعمالات اللغوية الصحيحة دون الغريبة.

• جاءت دراسة ابن فارس لمعاني المداخل المعجمية المثبتة في معجمه مختزلة من لب المنهج الذي ينهض على استخلاص الخصائص و المكونات الدلالية الجزئية لكل استعمالات الجذر.

الهوامش:

- ¹ المقولة الدلالية في المعجم، ابراهيم مراد، مجلة المعجمية، تونس، العدد 16-17، 2001م، ص22.
- ² علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م، ص217.
- ³ المرجع نفسه، ص20-22.
- ⁴ شرح الأشموني لألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسين نور الدين الأشموني الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، 1/25.
- ⁵ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص19.
- ⁶ شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، دار التراث، القاهرة، مصر، ط20، 1400هـ/1980م، 1/16.
- ⁷ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1998م، ص20.
- ⁸ مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، د.ت، ص226.
- ⁹ المعاجم اللفظية القديمة، محمد بن سعيد الثبتي، 9/159.
- ¹⁰ المعنى المعجمي ووسائله في التفسير الدلالي دراسة في (غريب الحديث) للبستي المعروف بالإمام الخطابي، عبد الله بن سعد الحقباني، مجلة الشمال للعلوم الإنسانية، المجلد 04، العدد01، 1440هـ/2019م، ص06.
- ¹¹ أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، إشراف: رجب عبد الجواد ابراهيم، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان، 1431هـ/2010م، ص33.
- ¹² المرجع نفسه، ص.ن.
- ¹³ المعنى المعجمي ووسائله في التفسير الدلالي، عبد الله بن سعد الحقباني، ص03.
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص03.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص03.
- ¹⁶ نظرات في علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوي، غازي مختار طليمات، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الحادية عشر، 1410هـ/1990م، ص24.
- ¹⁷ المعنى المعجمي ووسائله في التفسير الدلالي، عبد الله بن سعد الحقباني، ص05.
- ¹⁸ المقولة الدلالية في المعجم، ابراهيم مراد، ص30.

- ¹⁹ علم الدلالة في المعجم العربي، عبد القادر سلامي، دار ابن بطوطة للنشر و التوزيع، خلداء، عمان، 2003م، ص12.
- ²⁰ سورة النور، الآية: 45.
- ²¹ سورة البقرة، الآية : 197.
- ²² الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1993م، ص214.
- ²³ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص953.
- ²⁴ الصاحبي ، ابن فارس، ص96.
- ²⁵ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص490.
- ²⁶ الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ص34.
- ²⁷ مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص203.
- ²⁸ مقاييس اللغة، ابي الحسين أحمد بن فارس، تح: أنس الشامي، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م، ص07.
- ²⁹ مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، ص204.
- ³⁰ الصاحبي في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها، ابن فارس، ص66-67.
- ³¹ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص154.
- ³² الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة -دراسة تحليلية نقدية- عبد الكريم محمد حسن جبل، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ط1، 2003م، ص27.
- ³³ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص67.
- ³⁴ المرجع نفسه، ص09.
- ³⁵ الدلالة المحورية في معجم مقاييس اللغة، عبد الكريم محمد حسن جبل، ص26.
- ³⁶ مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، 202.
- ³⁷ الدلالة اللغوية، عمر شاع الدين، مجلة الدراسات اللغوية، العدد 03، 1421هـ/2000م، المجلد 02، ص108.
- ³⁸ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص456.
- ³⁹ سورة التوبة، الآية : 79.
- ⁴⁰ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص178.
- ⁴¹ علم الدلالة في المعجم العربي، عبد القادر سلامي، ص90.
- ⁴² مقاييس اللغة، ابن فارس، ص412.
- ⁴³ علم الدلالة في المعجم العربي، عبد القادر سلامي، ص91.
- ⁴⁴ مقاييس اللغة، ابن فارس، ص412.
- ⁴⁵ علم الدلالة في المعجم العربي، عبد القادر سلامي، ص93-94.
- ⁴⁶ ينظر: الدلالة اللغوية، عمر شاع الدين، ص111.